



## الفصل السادس: السّلام في الطبيعة

إنّ دراسة الكون تظهر أنّ نظامه الممتدّ يستند كلياً على مبدأ السّلام؛ فهناك عدد لا يحصى من الأجرام السماويّة في أنحاء الكون جميعها، في حركة دائمة من غير أيّ تصادم يحدث بينها. وكلّ مدار، وبدقّة متناهية يمضي داخل مجاله الخاصّ به، من غير التعديّ على أيّ مدار آخر، وهذا هو السبب، في عالم الطبيعة، في عدم حدوث أيّ اشتباك أو مواجهة.

إنّ ثقافة الكون هي ثقافة السّلام، وهي أمر مرغوب فيه للإنسان أيضاً. وعلى الإنسان أن يعتمد هذا المبدأ الشامل في حياته. وبنبذه طريق المواجهة، يجب عليه أن يختار طريق السّلام.

وبسبب الالتزام بثقافة السّلام هذه فإنّ الكون يسير منذ بلايين السنين من غير أيّ تصادم قد يعكّر نظامه. وهذا يعني أنّ ثقافة العنف لوسادت بدلاً من ذلك، فسنجد أنّ مختلف مكوّنات هذا الكون ستتصادم وتتدمر، ولن يكون الكون لمدة طويلة صالحاً للسكن.

إنّ الخالق الذي جلب هذا الكون إلى الوجود قد خلق البشر أيضاً، وقد كانت رغبته في أنّه على الإنسان أن يختار ثقافة السّلام التي أنشئت في هذا المجال واسع النطاق. ومع ذلك، هناك فرق بين الإنسان والكون؛ فقد فرضت ثقافة السّلام هذه على الكون بقوى الطبيعة، لكنّ الإنسان قد مُنح حريّة العمل بنهج السّلام. ولذلك.

ينبغي على البشر إنشاء هذه الثقافة بجهود واعية وطوعيّة من الإرادة؛ كي يسود الانسجام حياتهم.



## نظام الطبيعة

لقد تمّ وضع النظام في هذه الأرض، التي يقطنها الإنسان، منذ اللحظة الأولى لإنشائها. وهكذا، فقد تمّ ترتيب كل شيء وفقاً لخطة في صالح البشرية. وهذا يعني أنّ أي شيء يقوم به الإنسان على هذه الأرض، ينبغي القيام به من غير أيّ تغيير لخطة الطبيعة. فلو عبث الإنسان معها ولو بأدنى الدرجات، فإنّ هذا سيؤدّي إلى انهيار النظام الطبيعيّ الموضوع من الخالق وفقاً لترتيب معيّن. ونتيجة لذلك، سوف ينتشر الفساد في كل مكان.

لقد حصلت في عالمنا أحداث لا تُعدّ ولا تُحصى، يحكمها قانون الطبيعة، على سبيل المثال: استمرار دوران الأرض، وتلقّي الضوء من الشمس، وهبوب الرياح، وبدء هطل الأمطار، وتدقّق مياه الأنهار، ونموّ النباتات والأشجار، وما إلى ذلك. إنّ هذه العمليات جميعها من هذا النوع تستمرّ ليلاً ونهاراً، والأمر المبهر هو كيف أنّها تحدث بطريقة سلمية للغاية، فلا وجود للعنف، ولا للصدام، ولا للمواجهة.

وكون هذه هي الطريقة الطبيعية للإصلاح، فينبغي على البشر أنّ يتّبوا طريقة الطبيعة هذه، نابذين العنف والمواجهة.

ولا ينبغي لهم أن يتصرّفوا كالفرد العنيف الذي يعتمد على أشياء، مثل السيوف والبنادق أو القنابل، ولكن ينبغي أن يستمدّوا قوتهم من الصفات البشريّة النبيلة، من مثل: الصّبر والتحمّل، وتجنّب الصّراع، والاستعداد المتبادل للتّعديل، وما إلى ذلك. إنّ هذه الاستراتيجيّات من شخص محبّ للسّلام هي في توافق مع الأبدية والحتميّة لقوانين الطبيعة، وأولئك الذين يعارضونها هم وبالتأكيد سيعملون على خلق اضطرابات كبيرة في كلّ مكان، ولن يكونوا قادرين على إنشاء نظام صالح.

### قانون التحوّل

يحتاج جسم الإنسان إلى الدّم في نظامه للبقاء على قيد الحياة، ولكننا لا نستطيع تحصيل الدّم الجاهز في هذا العالم، لهذا فإننا بحاجة إلى نظام نحصل فيه على الدّم من اللّادم، بعد المرور في عمليّة طبيعيّة معيّنة، ومن غير هذه العمليّة لن نتمكن من تأمين الدّم لأنفسنا.

وكما أن الدّم ضروريّ لوجودنا الماديّ، فإنّ السّلام ضروريّ أيضاً لبقائنا الاجتماعيّ، ولكننا لا نستطيع العثور على سلام جاهز في هذا العالم، ولذلك فإنه ينبغي لنا أن نعمل على تطوير عمليّة تحوّل اللّاسلام إلى سلام. وعمليّة صنع السّلام هذه هي ما عبّر عنها يسوع المسيح قائلاً:

«أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» (لوقا، 20:25)

هذا يعني أنّه، ومن خلال تجنّب الصّدام وجهاً لوجه في ظلّ ظروف غير مواتية، فإننا نكسب الوقت بهذا لتحقيق أهدافنا.



ويمكن التعبير عن هذه الصيغة في سياق السّلام هكذا: تحمّل حالة اللاسلام حتى تتمكّن من الوصول إلى حالة من السّلام، وهذه هي فقط طريقة تحويل اللاسلام إلى السّلام في هذا العالم؛ فما من طريق آخر للسلام.

إنّ نظام الطبيعة بأكمله يعتمد على مبدأ التحويل، وكلّ شيء في عالمنا قد خضع في مرحلة ما لعملية تحويل. فالمياه، وقبل تحويلها، كانت موجودة على شكل غازين مختلفين؛ فوفقاً لقانون الطبيعة، فإنّ اللاماء قد تمّ تحويله إلى ماء، وتطبق هذه العملية على الظواهر الأخرى جميعها في العالم.

دعونا ننظر في مثال آخر ألا وهو الشجرة؛ إذ يستحيل أن نرى الشجرة وقد وقفت أمامنا فجأة على شكلها المتطوّر النهائي؛ فهناك عملية الطبيعة، التي من خلالها يتمّ تحويل البذرة ومروراً بمراحل إلى شجرة. يمكننا أن نقول إنّ هناك عملية في الطبيعة تحوّل اللاشجرة إلى شجرة، وبعدها فقط تقف الشجرة على الأرض مختالة بعظمة شكلها.

وبالمثل، فإنّ البقرة لا تعطي الحليب إلا بعد أن تتمّ عملية طبيعية للتحوّل داخلها. ويبدو الأمر كما لو أنّ البقرة مصنع للطبيعة، الذي يحوّل اللاحليب إلى الحليب، هذا السائل المغذي.

وبطريقة مماثلة، فإنّ غذاء الإنسان الذي يحتاج إليه للحصول على قوّته لا يأتي إلى حيّز الوجود إلا إذا تمّ تحويل غير الصالح للأكل إلى صالح للأكل في مصنع الطبيعة، لهذا يحوّل الجهاز الهضمي للإنسان الصالح للأكل من هذه الموادّ إلى لحم ودم.



## الفصل الثامن: السّلام في الديانة الإسلاميّة

إنّ مسألة السّلام تندرج أيضاً في إطار هذا القانون العامّ للطبيعة؛ فالسّلام أمر حيويّ لوجودنا الاجتماعيّ، ولكن لا يمكننا العثور على سلام جاهز في هذا العالم. ولذلك، وعلى المنوال نفسه، فإنّ السّلام لا يمكن الحصول عليه إلا من قبل أولئك الأفراد -أو المجتمع- الذين لديهم القدرة على تحويل اللاسلام إلى سلام. ويمكن أنّ نجد السّلام فقط إذا أظهرنا هذه المقدرة. والآن، دعونا نرى كيف يمكن تحويل هذا اللاسلام إلى السّلام. ويمكن تلخيص هذه العمليّة في إعطاء ردّ فعل إيجابيّ في حالات سلبيةّ.

عالمنا يعمل على مبدأ المنافسة، وهذا هو السبب خلف عدم غياب التحدّيات والاستفزازات عن أيّة حالة؛ فلا يمكن لعالمنا أبداً أن يكون خالياً منها. إنّ العلاج الوحيد لذلك هو رفض الرضوخ للاستفزاز حتى في الحالات الاستفزازيّة. وعليه، فإنّ السّلام هو نتيجة لهذه الأخلاق أحاديّة الجانب.

لا يمكن أنّ نجد شيئاً جاهزاً في هذا العالم؛ فكلّ شيء لا بدّ أنّ يخضع لعمليّة التحويل، وهذا هو السبب في أننا لا يمكن أبداً أنّ نجد السّلام الجاهز. هنا يجب علينا أنّ نستجمع ما نملك من الحكمة لتحويل اللاسلام إلى سلام، وبذلك فقط نستطيع امتلاك السّلام. وتماماً كما ينطبق هذا المبدأ على حياة الفرد، فإنّه ينطبق أيضاً على المستويين: الوطنيّ والدوليّ.